جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والـــبحث العلمي

جامعة القادسية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

دلالة المكان في رواية بين القصرين

لنجيب محفوظ

بحث تقدم به الطالبان

مصطفى جلاب سوادي

وسام جـــبار زبـــالة

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكلوريوس

في اللغة العربية وأدآبها

بأشراف الاستاذ {م .م .ساجد كامل ياسين}

١٤٣٩ هـ ٢٠١٨ م

****

المقـــدمة

لْحَمْدُ للهِ الأوَّلِ قَبْلَ الأنْشاءِ وَالأحْياءِ وَالأخِرِ بَعْدَ فَناءِ الأشْياءِ الْعَليمِ الَّذي لا يَنْسى مَنْ ذَكَرَهُ وَلا يَنْقُصُ مَنْ شَكَرَهُ وَلا يَخيبُ مَنْ دَعاهُ وَلا يَقْطَعُ رَجاءَ مَنْ رَجاهُ

والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين ابى الزهراء محمد وعلى اله الطيبين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين من الاولين الى قيام يوم الدين ، اللهم اخرجنا من ظلمات الوهم واكرمنا بنور الفهم ، وافتح علينا ابواب رحمتك ، وانشر علينا خزائن علومك، برحمتك ياارحم الراحمين ،

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي

اما بعد

فأن اختيار أي موضوع معين قصد دراسته لايكون اعتباطياً بل يشكل معنى وهدفاً في نظر الدارس وانطلاقاً من هذا الاساس اخترت موضوع ((دلالة المكان في رواية نجيب محفوظ)) {بين القصرين }

وفضلت البحث في فن الرواية لأشتمالها على بعض الخصائص التي تميزها عن غيرها من الفنون الاخرى لذا اقتضت منهجية البحث ان تكون كالأتي ...

الفصل التمهيدي

تناولت فيه المكان لغة واصطلاحاً ونشأة الرواية وتطورها والرواية الواقعية واثر نجيب محفوظ على الرواية العربية

الفصل الاول

وعنونته بعلاقة الشخصية بالاماكن المغلقة حيث تطرقت فيه الى انواع الامكنة الموجودة في الرواية من حيث

(الاختيار والاجبار) وانطلاقاً من هذا خصصت لهذا الفصل مبحثين ادرجت في المبحث الاول (اماكن الاقامة الاختيارية كالبيت) اما المبحث الثاني ادرجت فيه معظم (اماكن الاقامة الاجبارية كلسجن)

الفصل الثاني

وعنونته بعلاقة الشخصية بالاماكن المفتوحة ويتألف من مبحثين وتناولت في المبحث الاول (اماكن الانتقال الخاصة) واما المبحث الثاني فيتمثل (بأماكن الانتقال العامة)

وختمت البحث بخاتمة تحديث فيها اهم النتائج المستنبطة من هذه الدراسة وقد استندت في هذه الدراسة على مصادر عده منها :-

١- حميد الحمداني

٢- حسن بحراوي

٣- محمد جبريل

٤- غاستون باشلار

٥- سيزا قاسم

ولايفوتني في هذا المقام ان اتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف

م . م (ساجد كامل ياسين) لصبره وتحمله عبئ الاشراف ولنصائحه القيمة كما اتقدم بالشكر الجزيل لكل اساتذتي في قسم اللغة العربية وكل من ساعدني لأتمام هذا البحث .

التمـــهيد

المكان لغة : -

المكْنُ ، بالفتح : بيض الضَبَّةَ والجَرادةِ ونحوهما (١)

مكن : اَلمَكْنُ : بيض الضِّبة والجرَادَة ونحوهما وقال أبو الهندي واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس :

ومكث الضباب طعام العُرَيب ولاتشتهيه نفوس العجم (٢)

مكنت الضَّبْةً وهي مَكُونُ وأمكنت وهي تمكن أ ذا جمعت البيض في حوفها والجردةُ مثلها

والكسائي : امكَنَتِ الضبةُ جمعت بيضها في بطنها فهي مكون وانشد ابن بري لرجل من بني عقيل: اراد فقي انْ أسدَهْ ضبةّ

مكوناً ومن غير الضباب مكونها(٣)

المكانة: التودةُ وقد تمكن ومر على مكينته أي تؤدته ابو زيد

قال أمشي على مَكينتكَ ومكانتكَ وهيَنتكَ . قال قطرب : يقال فلان يعمل على مكينِتهِ أي اتئادة (٤)

المكان اصلاحاً

ويحدد المكان عند الفلاسفة من (أرسطو) حتى الفارابي فيقول (المكان هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوري (٥)

علي حسين أن (اندري للند) يعرف المكان فيقول : هو وسط مثالي متميزة بظاهرية اجزائه تتمركز فيه مداركنا وتاليا يتضمن كل الفضاءات المتناهية (٦)

١- تاج العروس تأليف الزبيدي ، المحقق محمود محمد الطناجي ، الكويت ، الطبعة الاولى ١٩٦٧م ، الجزء السادس عشر
٢- لسان العرب تأليف ابن منظور تحقيق عامر احمد حيدر ، ط٢ ، ناشر دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ،س٢٠٠٩، ص٤١٢
٣- تاج العروس ، مصدر سابق ص١٨٧
٤- لسان العرب ، مصدر سابق ، ص٤١٣
٥- موسوعة السند الفلسفية ، تعريب خليل احمد منشورات عويدات ، بيروت لبنان /م/ س١٩٩٦ ،ص٥١
٦- موسوعة للند الفلسفية ، مرجع سابق ، ص٣٦٢

نشأة الرواية

يبدأ العصر الحديث منذ عام ١٧٩٨م ويستمر الى أيامنا هذه وهي فترة طويلة تطورت فيها اللغة العربية تطور شاملاً فظهرت في الادب العربي صنوف وفنون أدبية جديدة مثل القصة القصيرة والروايةوالمسرحية (الشعرية والنثرية) والشعر الحر.

بادئ ذي بدء نجد في هذا المضمار آراء وخلافات بين الأدباء والنقاد حول نشأة الرواية العربية من هو الكاتب الاول للرواية العربية في معناها الحقيقي فالبعض يرى ان العرب قد كتبوا الأدب الروائي والقممي منذ البداية من العمر القديم وهم يستشهدون بـ (ملامح عنترة) و(رأس الفول)

أما البعض الأخرون فيعتقدون كما ذكر حمدي السكوت (بأن الرواية الحديثة ليست سوى شكل أدبي جديد استوردنا من الخارج منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر(١)

ان الاسلوب تطور واصبح الاسلوب اللغوي واضحاً وبسيطاً منذ السبعينات للقرن التاسع عشر فالفضل في تقديم الاشكال الأدبية الحديثة يرجع الى هولاء المترجمين (٢) .

نشأة الرواية الواقعية

اذا وقعنا في مصطلح الواقعية نجد مشتق من الواقع ونلاحظ ان كلمة (الواقع) مثلها في ذلك مثل كلمة الحقيقة أو الطبيعة أو الحياة المشحونة بمعان كثيرة سواء على المستوى الفلسفي أو الاستعمال العادي (٣).

١- الرواية العربية : بيلوجرافيا ومدخل نقدي بقلم حموي السكوت المجلد الأول ،ص٢٩
٢- المرجع نفسه ص٣١
٣- الرواية النقدية وتطورها عند واسيني الأعرج – رسالة ماجستير – الطالب دربالي وهيبة – الجزائر – جامعة المسيلة ،٢٠١٠-ص١٠

يرى بعض النقاد ان الواقعية هي وليدة القرن التاسع عشر ، الا ان جذورها تمتد الى عمر النهضة ممثلة بكتابات ومؤلفات هذا العامة امثال دبيليه وسرفاتس وشكسبير ، التي تميزت في تحليلها الخصائص العصر وملاحمة وللعلاقات البشرية وصور الحياة اليومية ، فروايات شكسبير قام معظمها على التحليل الواقعي الحقيقي للتفاعلات الاجتماعية أنذاك ، واستطاع اكتشاف العلاقات العفوية والاجتماعية والحالات النفسية للأشخاص الذين عاشوا في زمان (١) . وان مدلول الواقعية الاصطلاحي لم ينفصل انفصال كلياً عن المدلول الاشتقاقي الشتاد من الواقع كلمة مستخدمة في الحياة العامة ، وهي تسعى الى تحوير الواقع وكشف أسراره وأظهار خفاياه وتفسيره (٢).

ان الواقعية كمذهب أدبي لم تثبت شخصيتها الأدبية الا من خلال مجموعةمن كبار النقاد والكتاب الفرنسين الذين يتصدرهم (ستندال وبلزك وفلوبير والكسندر دوماس) ومن الأدباء (سانت بيف وتين وكونت)من النقاد فقد كانت قبل هولاء مدلولاً عاماً يعني الطبقة وانها اصبحت مذهباً واضح الدلالات منذ ان اصدر (بلزاك) عمله الكبير (الكوميديا البشرية) التي صارت مقدمتها اعلاناً حقيقياً عن مبادئ المذهب النقدي (٣)

وذكر دستويفسكي هذا المصطلح عام ١٨٦٣ في معرض مناقشة لبعض النقاد الروس ويعد تولستوي وديستوفيسكي ابرز اقطاب وطلاءع الواقعية في جانبها النقدي قبل شيوع الواقعية الاشتراكية وان انجح طريق لتحديد مفهوماً خاصاً بالواقعية هو اظهار السمات الخاصة التي تميزها عن غيرها من المفاهيم الأدبية الأخرى(٤)

١- مذاهب الادب الغربي ومظاهرها في الادب العربي – سالم احمد الحمداني – جامعة الموصل – ١٩٨٥ . ص١٥٩
٢- الأدب ومذاهبه – محمد منذور – مصر للطباعة والنشر – الفجالة القاهرة ص١١
٣- مذهب الادب الغربي ومظاهرة في الادب الغربي ، مرجع سابق ص١٥٩
٤- ينظر اليات انتاج النص الروائي نحو تصور سينمائي عن اللطيف محفوظ ، منشورات دار الاختلاف – ط١-٢٠١٢ ، ص١٦٢

تطور الرواية

ويقول مؤرخ الادب العربي الأستاذ أحمد حسن الزيات عن تطور الرواية في بحث الفن القصصي والروائي فلما ارتقى الفن الكتابي في الاسلوب الذي علمته ، يعني دور المدارس والجامعات الأزهرية والمصرية والبعثات والتراجم والمطابع والصحافة في النهضة الفنية القوية (كزينب) لمحمد حسين قيس ونهاية لنجيب محفوظ (١).كما لعب نجيب محفوظ دوراً في تطور الرواية العربية حيث يقف نجيب محفوظ على رأس الجيل الثاني من كتاب الرواية في مصر والجيل الثاني فبدأ ظهوره في الاربعينات وهم نجيب محفوظ واسحار وعادل كامل ويحيى حقي وغيرهم (٢)

نجيب محفوظ : (١٩١١- ٢٠٠٦)م من اكبر اعلام اللغة العربية وقد رفد المكتبة الروائية العربية بروايات عديدة منها (القاهرة الجديدة وخان الخليلي والثلاثية بين القصرين وقصر الشوق والسكرية)(١). وان من يقرأ رواية (بين القصرين) [illegible]

بغنه الروائي مستلزمات الذيوع حتى اضحت متلفزة وقد اتضحت قدرة نجيب محفوظ في تناول موضوعه القصصي على براعة وتوزيع الأضواء والألوان والقدرة على توضيح خصائص الشخصية (٢) كما تعد رواية بين القصرين أول الروايات من الرواية الثلاثية في عام ١٩٥٦م . كذلك تعتبر أفضل رواية عربية في تاريخ الأدب العربي حسب اتحاد كتاب العرب (٣).

١- تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ، دار نهضة مجر لطباعة والنشر الفجالة – القاهرة – ص٣٢١
٢- الاعمال الكاملة في الرواية العربية ، فاطمة موسى ،ج٢ ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٧م، ص ٣٩- ٤٠
٣- قضية الشكل الفني عندي نجيب محفوظ، نبيل راغب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١ ،١٩٨٨

كما يرى بعض النقاد أن هناك قطبين لأزمة المرأه خلال زمن الرواية التي تبدأ احداثها عام ١٩١٧م احدهما ايجابي يمثله السيد احمد عبد الجواد والثاني سلبي تمثله زوجته امينة والعلاقة بينهما بين ذات وشيء علاقة غير متجانسة وغير متكافئة وغير انسانية قوامها الاستبداد المطلق في طرف والخضوع المطلق في الطرف الاخر يصيب الناقد نجيب محفوظ على "جميع النقاد" عدم انتباههم الى الكوميديا الواضحة والبارزة جداً في ثلاثية نجيب مبديا دهشته من اجل خط الكوميديا فأن كل نقادنا رغم كون الكوميديا طابع أصيل للمزاج المصري الذي لا تستوقفه الا النكتة الصارخة غير المعتادة (١)

١- كتاب (نادر) من ٥٠ عاماً لنجيب سرور عن ثلاثية نجيب محفوظ ايلاف ، تاريخ الولوج ع مارس ٢٠١٢م

الفصل الأول

علاقة الشخصية بالأماكن المغلقة

توطـــــئة

يعد المكان وحدة اساسية من وحدات العمل الأدبي والفني الى جانب الشخصية والزمن ، ففي الرواية التقليدية يظهر المكان مجرد خلفية تتحرك امامها الشخصيات وتقع فيها الحوادث ولاتلقى من الروائي اهتماماً اوعناية فهو أذا مكان هندسي ، اما في الرواية الرومانيكية يبدوا المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدس حيث تنشأ بين الأنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الاخر (١). ويكون المكان استناداً الى هذا معبراً عن نفسة الشخصيات منسجماً مع رؤيتها للكون والحياة وحاملاً لبعض الأفكار . والمكان بالمفهوم العام هو الحيز والفضاء (لقد خضنا في هذا المفهوم واطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابلاً للمصطلحين الفرنسي (espace) والأنجليزى (Space) ولعل مايمكن اعادة ذكره هنا ان مصطلح الفضاء من الضرورة ان

يكون معناه جارياً في الهواء والفراغ بينما الحيز لدينا يتصرف استعماله النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل على حين ان المكان نريد ان ننقله في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده (٢).

وفي نفس السياق نجد حميد الحمداني يقول (ان مجموعة هذه الأمثلة هو مايبدو منطقياً ان نطلق عليه اسم فضاء الرواية لأن الفضاء اشمل وأوسع من معنى المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء) (٣).

١- بنية الشكل الروائي - حسن بحراوي (الفضاء والزمن والشخصية)بيروت الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ص٣١ . ١٩٩٠
٢- نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) عبد الملك مرناض ، الكويت ، المجلس الوطني لثقافة والفنون والأداب ، ديسمبر ١٩٩١ ، ص١٢١
٣- بنية النص السردي – حميد الحمداني ، بيروت الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي ،ط٣، ٢٠٠٠ ، ص٦٤

وبما ان الأمكنة متعددة في الرواية فأن فضاء الرواية يلفها جميعاً والمكان في الرواية أياً كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي ولو اشارت اليه الرواية او سمتة بالأسم فأنه يظل عنصراً من عناصرها الفنية فهو(المكان اللفضي المتخيل اي المكان الذي وضعته اللغة انصياغاً لأغراض النخيل الروائي وحاجاته)(١).
وكما يرى بدري عثمان ان ((المكان الروائي والطابع اللفظي فيه يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها ذلك ان المكان في الرواية ليس المكان الطبيعي او الموضوعي وانما مكان يخلقه المؤلف في النص الروائي عن طريق الكلمات وتجعل منه شيئاً خيالياً))(٢) . المكان يمثل بؤرة مركزية للأحداث الحاصلة في العمل السردي ويتسم بالسطحية والسهولة قياساً مع البنيات الأخرى (الزمن والشخصية) لسيولة هذه البنيات وحيويتها وجموروسطحية المكان بأعتباره ارضية وفضاء كما نجد في النص اشياء لايمكن ان يفهمها القارئ ويجسدها الا اذا وضعنا امام ناظريه الديكور وتوابع العمل ولواحقه (٣) .

١- بناء الرواية العربية السورية – سمير روحي الفيصل ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ١٩٩٥ ، ص٢٥١
٢- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ، بدري عثمان ،ط١ ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨٦،ص٩٤
٣- بنية الشكل الروائي – مرجع سابق ، ص٤

المبحث الأول

اماكن الأقامة الأختيارية

كان المكان ولايزال المادة الأساسية التي انطلق من خلالها الناس في بناء مفاهيم ودلالات فكرية وثقافية اوجدها المجتمع .

وقد افادت الدراسات الأدبية عموماً في تعاملها مع مفهوم (المكان) من مختلف دلالاته ، مسخرة اياها لما يمكن ان يقود الى تحليل النص والنصوص في اعماقه لأستكشاف خباياه وشفراته ، ولما للمكان من اهمية جعلت غالب هلسا يقول (أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي اصالته)(١). بقول وبذكر ياسين النصير(ان المكان دون سواه يثير احساساً ما بالمواطنة واحساساً اخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسية الكيان الذي لايحدث شيءُ من دونه (٢). واذا انتقلنا لنعرف المكان عن الفلاسفة فسنجده عن ابن سينا يعني به ((السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر لجسم المحوى)) (٣). وقد عد الشريف الجرجاني هذا التعريف مختصاً بالحكماء ، أما عند المتكلـــــمين فيعني ((الفراغ المـــتوهم الذي يشغله الجسم وتنفـــيذ

فيه الأبعاد))(٤).

واذا كان البيت هو (الكون الأول للأنسان او عالم الانسان الأول)(٥) يدخل المكان الملموس بدلالتة المادية الى عالم المعنويات فالأنسان دائماً يحاول ان يقرب لنفسه المجردات من خلال تجسيدها في ملموسات واقرب هذه الملموسات هي الاحداثيات المكانية لأن التفكيريخضع لعملية الترجمة اي ترجمة المجردات الى محسوسات)(٦).

١- جماليات المكان – جاستون باشلاد، ترجمة غالب هلسا ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، دار الحرية ط١، ١٩٨٠
٢- اشكالية المكان في النص الأدبي : ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام،بغداد ، ط٢ ،١٩٨٦ ص٥
٣- رسالة الحدود ،١٩٤، نقلاًعن : المعجم الفلسفي – بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية والادبية ، د. جميل صليبيا ،ج٤١٢/٢ وينظر : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ٥٩- ٧٩
٤- كتاب التعريف ت و بيادرسالة اصطلاحات رئيس الصوفيه الواردة في الفتوحات الملكية ،١٨٤
٥-جماليات المكان ، مصدر سابق
٦- مشكلة الفني (جماليات المكان)يوري لوتمان ، ترجمة وتقديم : سيزا قاسم ، عيون المقالات الدار البيضاء ، المغرب ، ط١، ١٩٨٨، ص٦٥

فتصبح كثير من المعاني المكانية المحسوسة قابلة لتبسيط لتدل بعدها على قيم معنوية اجتماعية اقتصادية واخلاقية وهذا ماكده بودي لوكمان في كتابه بنية النص السردي وهو الذي اقام نظرية متكاملة لنقاطيات – حين اكد ان لغة العلاقات الفضائية واحدة من اهم الوسائل الاساسية لتعبير عن الواقع ومفاهيم مثل (اعلى – اسفل) و(يمين – يسار) و(قريب- بعيد) و(مفتوح – مغلق) و(محدود - لا محدود) و(منفك – ومتصل) شكل مادة البناء نماذج ثقافية بعيدة عن المحتوى الفضائي فتتخذ معاني جديدة تتمثل في (قيم – غير قيم) و(حسن وسيئ) (والاقارب – والاغراب) و (السهل – الصعب و(زائل – خالد) فكل اداة تحول عالم المعصيات المحسوسة الى نظام فهي النمذجة الأولى .

ويرى لوتمان ان نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والاخلاقية العامة قد ساعدت الأنسان على مراحل تاريخية على اعطاء معنى الحياة التي تحيط به وهي تنطوي دائماً على سمات فضائية (١). لقد وضع ريكارددو

تقنية الوصف لتتبع درجة الوصف والالمام بكل الصفات المسندة الى الشيء الاساسي الموصوف والذي قد يكون

مكاناً او شخصاً اوشيئاً والذي تسير وفقه عملية الوصف والتي تحدد شساعتها ودرجة وصفها وعدد عناصرها الجزئية ونسبة الصفات المسندة اليها ، ونقصد بالوضع وضعية الشيء من حيث مكانه وزمانه اثناء الوصف اما الصفات المسندة فتختلف حسب الموصوفات التي يختارها الراوي الواصف كحجم الشيء وشكله وعدده ولونه وقياسه(٢) .

١- دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ (دراسة تطبيقية) ، رسالة ماجستير
٢- دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ (دراسة تطبيقية) مرجع سابق

يشكل فضاء البيوت الحضور الأكبر في روايات نجيب محفوظ وعلى التحديد في الثلاثية فلقد بلغ اصعاء عدد البيوت اثنا عشر بيتاً بما فيها بيوت العوالم والعوامة والبيوت الراقية وتشكل جميعها اماكن ثبات واقامة ((اماكن الألفة ومراكز تكيف الخيال))(٣) سواء أكانت البيوت الشعبية او مايقابلها من البيوت الراقية فالبيوت الشعبية بقسميها المحافظة والمنحلة ومن جملة البيوت بيت السيد احمد عبد الجواد وهو المكان الرئيسي لرواية وهو اول البيوت واكثرها حضوراً ، وقد قدم لنا نجيب محفوظ صورة كاملة للبيت من الخارج والداخل وذلك من خلال صور مجزءه لم يتم وضعها دفعة واحدة بل الصور المستنتجة لهذا البيت هي صور مركبة من مقاطع سردية وصطية في كل مره يتم الحاق مقطع وصفي بالبيت حتى نتحصل على صورته النهائية من الداخل والخارج ، كما يقول جرار برنس ((يحتل المكان دور بارز في النص السردي ، يشغل حيزاً ثانوياً فيه ، اذ قد يكون حركيا فعالاً ، او ثابتاً سكونياً وقد يكون متناسقاً او غير متناسق ، واضح المعالم او غامضها ، مقدماً بشكل عضوي غير مترّقب ، او تتأثر جزيئاته عبر مساحة النص (٤).

لقد جرت العادة أن يطلق على البيت في الأحياء الشعبية – خاصة بأسم مالكه او مستأجره ، كما هو الحال حالياً لبيت السيد احمد عبد الجواد الذي يمثل نقطة انطلاق وعودة الشخصيات أو ساكنيه فهم يغادرونه ليعودوا اليه في كل مرة ، فضلاً عن ذلك فقد شكل البيت افتتاحية الرواية للحديث عن شخوصها .

١- المكان الفني (جماليات المكان) مرجع سابق ص٩
٢-مصر المكان – دراسة القصة والرواية ، محمد جبريل ، المجلس الأعلى الثقافة ، جمهورية مصر العربية ،٢٠٠٠، ص٨٧

فالصورة العامة لبيت السيد احمد عبد الجواد هي :-

الفناء الترب والبئر العميقة والطابقين والحجرات الواسعة العالية والأسقف والسطح الذي يطل على المأذن واسطح العمارات المجاورة والمشربيات التي تطل على شارعي النحاسين شمالاً وبين القصرين جنوباً (١). ان ذكر المكان في النص الأدبي كثيراً مايوحي بشخصية قاطنة لتأثيره وتأثره بوجودهم (٢).، اذ ان البيت عالم الانسان الأول واذا كان عالمه الاول فقد يظطر الانسان لأستبداله او لمغادرته كما هو حال ياسين والأم وأبنتها اللاتي يغادرن بيت الطفولة كما يسميه باشلار جذر المكان (٣).

لذلك فكل ركن من البيت يشكل جزء من حياة ساكنيه ، لذلك فأن اول ماتناوله من اجزاء البيت هي حجرة النوم فهي تعتبر اكثر الأماكن خصوصية وامتلاكاً للفرد وقد كانت حجرة النوم أول جزئية من جزئيات البيت التي يقدمها نجيب محفوظ من خلال رؤيته لها ليلاً وقد ساعد على الرؤية المصباح الذي تحمله اعينه وقد وضعته

على خوان فبداء بوصفها من الأجمال الى التفصيل حيث وضعنا امام غرفة مربعة الشكل واسعة الحجم فبدأ بوصفها عمودياً بداية بالجدران العالية والتي تحملنا الى مايوجد فوقها وهو السقف الذي جعل له الراوي مشكلات وهي الأعمدة الأفقية المتوازية الشكل والتي تناسب وشكل الحجرة وقد وصفها بأستخدام الفعل (لاحت) فوظف الفعل (لاحت) الى جانب الفعل (بدت) كأن الغرف هي الفاعل بيدأن عين الراوي هي الفاعلة الرائية بواسطة الضوء الذي يبدوا من الفعلين ان خافت فهي بشكل عام كريمة الأناث فبساطها شيرازي وفرشها كبير مشكل اربع اعمدة نحاسية والصوان ضخم والكنية طويلة مفغطاة بسجاد صغير المقطع مختلف النـــقوش والالوان(٤).

١- رواية بين القصرين – ج١ ص٨ ، ١٩٨٩
٢- اعتدال عُثمان – مجلة البيانات ، الكويت – ع٢٣٨-كانون الثاني،١٩٨٦ ،ص٨٧
٣- جماليات المكان ، مرجع سابق ص١١
٤- بناء الرواية ، دراسة ميدانية مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ،سيزا قاسم ، القاهرة ، المركزالثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٠،ص٦٣

وقد قدم لنا نجيب محفوظ وصفاً مجرد من الانسان اي مكاناً سكونياً نسبياً مجعلاً ولذا اضيف هنا أن ((صورة المكان الواحد تتنوع حسب زاوية النظر التي يلتقط منها))(١) وقد كشف نجيب محفوظ في زاوية اخرى عن بعض اثاث هذا المكان انطلاقاً من تتبع حركة الشخصيات وتعاملها مع الاشياء كالخوان – المصباح – شباك سرير – الوسادة – السرير الثلثة – الكتبة.

كما صور لنا السجادة الفارسية التي كان ينظر اليها فهمي حينما دخل حجرة أبيه ليكلمه ((كانت عيناه مثبتتين على بعض الصور الغربية المنقوشة على السجادة الفارسية دون ان تريا شيئاً ، وكأن تلك النقوش انطبعت بأدامة النظر على صفحة عقلة))(٢). وتبقى دلالتها الخاصة بها بأعتبارها اهم حجره ومع انها حجرة نوم الا أن النوم أقل مايمارس فيها ، فهي بالنسبة لسيد عبد الجواد ليس سوى مكان لقضاء قسط من النوم وتغيير ملابسة فالسيد ينام سويعات محدودة ، أما أمينه فتجدها تغفو ساعة وتأرق ساعة اخرى ، فهذه الحجرة في كونها مكان لراحة والنوم والهدوء فحسب بل تتعداه الى حمل كثير من الذكريات وعند الجلوس فيها جانباً مثلما هو حال أمينة التي

تنتظر فيها السيد عبد الجواد كل ليلة وجعلها هذا تستأنس عالماً من الأطياف والأحلام ودنيا الحي ليلاً ، وعند عودة السيد عبد الجواد تقابلنا الحجرة بالصورة الحقيقية الدقيقة لطبيعة علاقة السيد مع امينة واهم الدلالات التي ارتبطت بهذه الحجرة وهي خصوصيتها التي جعلتها تنفرد بأحتضان السيد عند مرضة وعجزه ، ثم هي المكان الوحيد الذي ضم موت السيد وأمينه فكل مكان يحمل دلالة خاصة في ذاته

١- رواية بين القصرين ، مصدر سابق ،ص٢١٤

٢- رواية بين القصرين ، مصدر سابق ص٢١٤

اما اشارات نجيب الى حجرات اخرى لحجرة الغرف والطعام والدرس وحجرة مجلس القهوة والأستقبال ففي ذلك اشارة الى متاعب (امينة) البيتية وماتتحمل من صنع الطعام للعائلة بمؤازرة الخادمة ((ام حنفي)) وعلى اهمية حجرات (ياسين وفهمي وكمال) و(خديجة وعائشة) لكنها لم ترتق الى حجرة (امينة) ليس المساحة الاوسع في البيت بل الفضاء الأكبر في الوصف الروائي ليجعل بين شخصية (امينة) المؤثرة والمكان الذي تتحرك فيه تناسب وتكافؤ اما بالنسبة لحجرة الطعام مقترنة بعزيزة الأكل . وبعد ماتعرفنا على هذه الحجرة وسمحت لنا بالتعرف على نوعية الأطعمة المقدمة وهي اشارة الى المستوى الاجتماعي والمادي اذ تبدو اسرة ميسورة الحال من الدرجة الثانية كما اتاحت لنا التعريف على طريقة الجلوس عند الأكل فـ((بينما يعتاد الأوربي على سلوك وتصرفات ترتبط بمقاعد وكراسي وطاولات وما الى ذلك تتمحور طريقة الريفي في مصر من جلوس ووقوف واستلقاء حول البساط او الوسائل المفروشة على الأرض (١).

اما مايمثل فناء البيت قطعة البيت من الفضاء فهو مفتوح يسمح بدخول الضوء والهواء ورؤية السماء وقد تكون اكتفى الراوي بوصف بالاتساع لخلوه من الاشياء وقد اشار نجيب محفوظ من خلال فناء البيت الى البئر وحجره الفرن والحمام والبئر من المروثات المهمة لكل عائلة كونه منبع حي لأمداد البيت بالمياه العذبة ألا ان هذه الوظيفة الحية منعدمة هنا ، فتوقفت صلاحيتها نهائياً اذ سدت فوهتها بعارض خشبي خوفاً على الاطفال الصغار منذ ان ديست اقدامهم على الأرض (٢).

١- مصر والولادة الثانية ، الرحلة في كتابات ميثال بورتو ، مصباح احمد عبد الصمد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد١٧ ، العدد٢ ، يونيو ، اغسطس ١٩٨٦م ، ص٤٦٩

٢- رواية بين القصرين، مصدر سابق ،ص٢٠

الا ان بقائها مهجورة اضاف اليها دلالة عميقة جعل من بعدها وانعزالها وعدم الاقتراب اليها مكاناً لأحتواء ، وحفظ الأسرار وفضاء لعالم مشحوناً بالرمز ، ولحجرة الفرن دلالة رغم عزلتها عن باقي الحجرات لأحتضانها لحظات الفرح والابتهاج لما تتزين في الموسم وافراح الحياة عند حلولها في مختلف الاطعمة الشهية ((كخشاف رمضان ومضائفه وكعك عيد الفطر وفطائره الى جانب خروف عيد الأضحى الذي يدلل هناك ويسمن ثم يذبح))(١). ألأ ان نجيب محفوظ لم يهتم بوصف الحجرة قدر اهتمامه بأهم عنصر موجود فيها وهو عين الفرن وهي سبب عزل الحجرة عن بقية البيت فوصفها بأنها عين مقوسة ((بلوح في اعماقها وهيج النار لجذوه السرور المشتعلة وكأنها زينة العبد))(٢)والحمام المقصود هو بيت الخلاء او المرحاض وعادة مايكون مخصصاً فيه مكان للأستحمام والحمام جزء لاينفصل عن البيت ((ويمثل ضرورة الحياة الأسلامية))(٣) لأرتباطه بالطهار والوضوء والغسل واذ ماتناولنا صورة البيت الخارجية المفتوحة على الحي من الباب والمشربيه والسطح ولكل

واحدة دلالة خاصة فالباب الخارجي هو الحد الرئيسي للبيت في حين تمثل الأبواب الداخلية حدود ثانوية تفصل بين الغرف والحجرات وكل باب هو ((عائق وممر ، اغلاق وفتح)) وهو يؤمن عبوراً الى مستوى اخر(٤). أي الأنتقال من مكان الى اخر وهذا ينطبق على الباب الخارجي والذي يشترط فيه ان يكون له مقبض تكون ((وظيفته هي باب البيت))(٥) والمفتاح يكون وضيفة مزدوجة تجمع بين الغلق والفتح .

١- رواية بين القصرين المصدر السابق ، ص٢٠
٢- رواية بين القصرين المصدر السابق ، ص٢٠
٣- مصر المكان ، دراسة في القصة والرواية ، مرجع سابق ص٩٢
٤- مصر والولادة الثانية ، مرجع سابق ص٢٨٥
٥- جماليات المكان ، مرجع سابق ص١٣١

وتفسير مطرقة باب البيت في تنبيه من بالداخل بالطارق الذي على الباب ويفصل باب البيت بين عالم النساء اللواتي لايتجاوزنه الا للضروره ، وللأبواب دلالة مميزة فهي وسيلة حماية من مخاطر العالم الخارجي وتمثل الأبواب والمشربية كما تراها سيزا قاسم ((وسائل تلصص))(١) او تجسس وان اكثر شخص يتجسس ويتلصص هو كمال ومن بعده ياسين ، للمشربية اهمية في البيت من ناحيةوفي الرواية من ناحية اخرى عتبه هامة تنفتح على العالم الخارجي دون ان تكشف عمن خلفها لأنه يَرىَ ولايُرى وهي نافذه للنما من نوع اخر هي ((شرفة خشبية من النوع القديم مقفلة سميت بذلك لأن بروزها كان يكثر هواءها فتوضع فيها فلل الماء للشرب وهي تضع من خرط دقيق من الخشب من الأعمدة الخشبية الرفيعة والمتشابكة توضع عليها الفلل الصحارية لتبرد بفعل الهواء وتتقارب القطع الصغيرة الدقيقة الى ان تتكون منها المشربية فلايستطيع الجيران والمارة ان

يرو ما بداخل البيت لكنها تأذنفي الوقت نفسه بمرور الضوء الخافت والهواء الى الداخل وفي المشربية نوافذ صغيرة يمكن فتحها اوقات الضرورة (٢)

المشربية علبة مفتوحة على الخارج تسمح لمن يقف امامها بالنظر الى الحي ورؤية فضاء الحي بكل من فيه دون تجاوزها من خلفها بل العين هي التي لها مطلق الحرية في التجول فـ ((اذا كان الباب مكاناً للعبور فهو مفتوح لعبور جسدي كامل يخرج الجسد ويدخل بكامله اما النافذه فلا تسمح بأكثر من عبور الضوء والنظرات تكاد تكون مرأة أما فيبقى مشدوداً الى بعده الوظيفي (النفعي)(٣).

١- بناء الرواية (دراسة مقارنة الثلاثية ، نجيب محفوظ ، مرجع سابق ص١٢٢
٢- مصر المكان ، دراسة القصة والرواية ، مرجع سابق ص٢٣٣
٣- شعرية الفضاء – المتخيل والهواية في الرواية العربية ، حسين نجمي ، بيروت الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي٢٠٠٠،ص١٢٣

وان كانت المشربية واحدة فأن دلالتها تختلف عن شخصية لأخرى ، تمثل المشربية عند أمينة المكان الذي يؤنس وحشتها ليلاً وهي تنظر الى المسجد والطريق بكل مايحوية تترقب الغائب حتى يحضر اما في الصباح تقف امها برفقة ابنتها لتودع الزوج والابناء ومن اهم خصوصياتها انها تحجب من بالداخل وهذا مايجعلهن ينظرن بكل حرية الأ ان كمال لم يكد يخطو خطوتين من اعتداء ورفع بصره الى الشباك الذي يعلم ان امه وشقيقته متخفيات وراءه (١).اما بالنسبة لعائشة فكانت المشربية فضاء مفتوح يوصلها الى دنيا المحبوب وقد جعلت المشربية أحمد عبد الجواد يرى العالم الخارجي بنظرة مغايرة حين اقعده المرض والكبر فلايعلم سرها الا عندما اصبح يجلس على الكرسي الكبير فيها .واذا اخذنا صورة لسطح فستجده من اساسيات البيت المصري لأن معظم الأشغال التي تقوم بها المرأه ترتبط بالسطح كنشر الغسيل وتربية الدواجن فسطوح المنازل مسطحة تسمى

بذلك من ((التسطيح))(٢). وان وصف السطح يتمثل في هذا المقطع السردي ((أما أعجب مافي السطح فكأن نصفه الجنوبي المشرق على النحاسين حيث غرست يداها في الاعوام الخالية صديقة فريدة لانظير لها في اسطح الحي كله التي تغطى عادة بقادورات الدواجن ، أول مابدأت بعدد قليل من اصص القرنفل والورد وراحت تستكثر منها عاماً بعد عام حتى نضدت صفوفاً بحذاء اجنحة السور ونمت نمواً بهيجاً وخطر لخيالها ان تقيم فوق حديقتها سفينة فأستدعت نجاراً فأقامها ثم غرست شجرتين من ياسمين ولبلاب ثم نشبت سيقانها في السقيفه وحول قوائمها فأستطالت وانتشرت حتى امتحال المكان بستاناً معروشاً واسماء خضراء بينشق فيها الياسمين ويتوضع في ارجائها عرض طيب ساحر هذا السطح بسكانه من الدجاج والحمام وبستانها المعروش هو دنياها الجميلة(٣).

١- رواية القصرين ، مصدر سابق ج/١ ، ص٢٩
٢- مصر المكان ، دراسة القصص في القصة والرواية ، مرجع سابق ،ص١٠٠
٣- رواية بين القصرين ، مصدر سابق ،ج١ ،ص٤٠

المبحث الثاني

أماكن الأقامة الأجبارية

هو المكان المعادي لأماكن الأقامة الأختيارية وهو محدود وتضبطة الحدود والحواجز والأشارات ويخضع للقياس ويدرك بالحواس مما يعزل صاحبه عن العالم الخارجي . وكثير مايكون رمزاً للألفة والأمن والأنغلاق والعزلة والأكتئاب يتنوع المكان طرداً انطلاقاً من الجسد كوعاء للروح خاضعة للسلطة الفردية ، وبخضوع الفرد لجدليه الرغبة في انطلاق حرية حركته ((الحركة الى الخارج أو الرغبة في الأنكماش او التقوقع نحو الداخل (١). ولايمكن وجود شخص واحد في مكانين مختلفين في نفس الوقت ممايجعل المكان الفردي على انغلاقه يزداد قيمة واهمية لدى الفرد وحياته ((ففي البيت نسعى الى دمج كل قيمه الخاصة وندرسها كوحدة بكل

تعقيداته))(٢) . تتصف هذه الأماكن بضيق والمحدودية بحيث ان الفعل لايتجاوز الأطار المرسوم له ويتميز بميزات سلبية منها الخوف والوحدة .وبالرغم من ضيق المكان الا انه يتسع لعدد كبير من الأحداث ولايعبر المكان الضيق دوماً على تسارع الأحداث . وانما يعبر عن الحالة النفسية لشخصية ان الأماكن الضيقة تجد فيها تراكماً في الاحداث الروائية ، ان سنن الفضاء المفتوح تقوم على تهيئة القارئ لتقبل تصور يتيح لشحصية امكانية الانطلاق والانفتاح في المقابل يتمظهر الفضاء المغلق بواسطة لغة تحيل على دلالات النفي والتعذيب ذلك ان الانغلاق في مكان واحد يجعل الشخصية تعيش لحضات العجز وعدم القدرة على الفعل والتفاعل مع المحيط الخارجي (٣)،

١- وظيفة اللغة العربية في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ ، عثمان بدري ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ٢٠٠ص٢٩

٢-رواية بين القصرين ، مصدر سابق /ج/١، ص١٢

٣-ينظر – بناء الرواية – سيزاء قاسم مرجع سابق – ص٧٧

ان السجن بأعتباره احد اهم واكثر الامكنة اهمية في الرواية لكنه قليل ما يتطرق اليه الراوي العربي لانه يمثل مصدر ازعاج واستهداف له من قبل السلطة الحاكمة بسبب ما يحمله من دلالات ذات ابعاد سياسية تنطوي على اظهار الحقيقة وللسجن صفات منها انه مكان مغلق ذو مساحة محدودة وفضاء انفعال عن العالم الخارجي (يعيد بناء الانسان ويصوغه من جديد حسب قوانينه وانظمته)(١) ، السجن ليس فقط الممان الذي يسجن فيه الشخص وانما قد يكون الانسان او شعب بأكمله حر الحركة لكن افعاله مقيدة ولا يملك ارادة لفعل شيء فهنا سجن من نوع اخر وهذا منع للحرية وتقيد ، الحرية شيء ثمين في الحياة اذا سلبت اصبح الانسان مسجوناً وان كان يعيش في عالم واسع .

ومن المعروف ان السجن مكان ذو ابعاد هندسية مميزة عن باقي الامكنة الاخرى في الارض حيث فيه قسوة الزمن وضيق المكان (٢) ، ولعل ابرز رموز السجن باعتباره مكان للاقامة الجبرية شديد الانغلاق اذ تغلق الابواب والمنافذ عليه ويحجب عنه العالم الرحب ويكون الحد الفاصل فيما بين الخارج والداخل في الخارج حيث الحرية في العالم والداخل حيث العزلة والناس (٣) ، وتكون الحياة اشد وطأة عليه على اعتبار ان السجن (مكان ضيق موحش يؤذي لنفس ويجعل للحياة لونا قاتما يناقض لون الحرية اما مكانه فتحت الإرض او الابراج العالية المنقطة رغبة في قطع السجين عن العالم اما شكله منيع ووثيق الاغلاق على نزلائه زيادة في انقطاع السجناء عن العالم وراء القضبان وخارج جدران السجن) (٤).

١- جماليات المكان في الرواية العربية – مرجع سابق – ص٣١٧
٢- جماليات المكان في الرواية العربية – مرجع سابق – ص٣١٧
٣- بنية الشكل الروائي – مرجع سابق – ص٥٦
٤- تجربة السجن في الشعر الاندلسي – رشا عبد الله الخطيب – المجمع الثقافي الاماراتي – ابو ظبي -١٩٩٩ ص٥٥

المكان الاجباري (السجن) مكان مقيت يبني الانسان عداوة وكرها ولا يحس بالالفة اتجاهه لانه مصدر نفور فلو طرحنا تساؤل هنا هل يمكن ان يكون كل مكان يشكل نقطة عداء تبعا للظروف التي تحيط به انه مكان معادي ؟ لا يمكن ان يوجد مكان اليف بحد ذاته ومكان معادي بحد ذاته فالبيت مثلا مصدر الفة وهناء ولكنه في بعض الاحيان تعتبره المرأة وخصوصا المرأة الغربية مصدر عداء لانه يقيد حريتها ، فأذا كان المكان يكتسب هذه العدائية من الظروف والمواقف التي تمر عليه فأنه بذلك تصبح كل الامكنة تخضع لثنائية الالفة / العداء والحب / الكراهية ، وقد تحدث الناقد عبد الملك مرتاض في دراسته عن المكان الواحد الذي يكون (مشارا للحب والكراهية معا)(١) .

ان هذا التداخل في الامكنة يجعلنا نقف امام حقيقة مفادها ان كل مكان إليف قد يكون معاديا والعكس ، اذ ما تشكلت الظروف المختلفة في احداث الالفة وهكذا بالنسبة للمكان المعادي الا ان بعض الامكنة يتفق على عدائها باعتبارها امكنة تعمل على الجبر والقيد والخوف والنفور مثل فضاء السجن والتي يهرب منها الانسان فهي تفقده حريته وبهذا (الهرب يتحول المكان الى – من وقناع لحالات الشكوى والعذاب) (٢) ، والهرب ما هو الا دليل على عدائية هذه الامكنة ، والسجن كمكان للاقامة الجبرية (تحبس فيه الحريات يغض النظر عن اصنافهم واسباب حبس حرياتهم فهو مكان له حدود وحواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه الا بتحطيم هذه الحدود والحواجز) (٣).

١- تحليل الخطاب السردي – عبد الملك مرتاض – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ١٩٩٥ – ص٤٥
٢- المكان في مسرح صلاح عبد الصبور من كتاب جماليات المكان – مدحت عبد الجبار – مجموعة باحثين دار قرطبة البيضاء – ط ح ، ١٩٨٨ – ص٣٣
٣- بنية الشكل الروائي – مرجع سابق – ص٥٢

فالسجن من ضيقه ومحدوديته (يشكل نقطة انتقال من الخارج الى الداخل ومن العالم الى الذات بالنسبة لتريل بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في الدلالات والقيم) (١) ، فيظهر كفضاء لقمع الحريات وسلب الحقوق وله صفات وميزات ذات ابعاد دلالية منها الظلام والانغلاق وهو (مكان لكراهة والصراع) (٢) ، وتكون السجون احيانا مكان لظلم والاضطهاد والتعدي على حقوق وحريات الاخرين وتكون حينا اخر مكان لبسط وفرض النظام والعدالة وهي كمكان بحد ذاته ليس لها قيمة فهي تكتمل حياتها وتعود حياتها الروائية بالاشخاص الموجودين بها ولهذه السجون رمزيات ودلالات في اذهان المتلقي والسامع مثلا المفتاح والقضبان ولكل منهما دلالة واضحة .

والمفتاح رمز من رمزيات السجن ان المفاتيح اكثر ما تحققه عملية الغلق قبل الفتح لان (حركة الاغلاق دائما اكثر حدة وصرامة وسرعة من حركة الفتح) (٣) .

حتى ان عملية الغلق الخاصة بالابواب دون النوافذ لا تمنع فقط من الخروج بل تمنع دخول الضوء والهواء احيانا ، فغلق الابواب يساعد في تكثيف الرطوبة الخانقة ناهيك عن التأثير النفسي للسجناء بقطع كل سبيل الى الخلاص وكأن لهذه القطعة الصغيرة – المفتاح تأثيرها العجيب في حبس من بالداخل (بل ان حركة انغلاق وانفتاح الابواب وطنين المفاتيح في الافعال يمكنها ان تشكل موضوع رهبة حتى بالنسبة للزوار) (٤).

وكذلك القضبان هي رمز اخر من رموز السجن ولا يكفي انها قضبان بل لا بد ان تنعت بمادتها الحديدية لتزيدها قوة وصلابة ، وهي شديدة الترابط فيما بينها وهي كلها موحدة وموجهة للتضييق على السجناء ورغم صغر هذا المكان الا انه يشكل فضاء من خلال شخصياته التي تخترق تلك الحدود ولا ننسى ان هذا الفضاء المخصوص الذي ينهض على انقاض العالم الخارجي المألوف (٥)

١- بنية الشكل الروائي – مرجع نفسه – ص٥٥
٢- تحليل النص السردي - تقنيات ومفاهيم محمد بوعزة – منشورات الاختلاف – الدار العربية للعلوم – ناشرون – ط١ – الجزائر – بيروت – لبنان – ٢٠١٠ – ص١٠٥
٣- جماليات المكان – مرجع سابق – ص٨٧
٤- بنية الشكل الروائي – مرجع سابق – ص٥٧
٥- المرجع نفسه – ص٦١

والاقامة الاجبارية قد تكون في السجن او البيت نفسه يصبح مكان اجباري وفي رواية بين القصرين تمثل سلطة السيد احمد عبد الجواد سلطة التحكم والأمرة المحكومة والسيد يمثل القاصر وهم القاصرين فيمارس سلطته على افراد عائلته في بيته مختلف الوان الاستبداد والتسلط فلا راد لكلمته واوامره ونواهيه وعلى الجميع التزام الحدود التي يقرها لهم فشخصيته لا نفير لها حتى بات معروف في المجتمع المصري يضرب المثل بشخصيته السيد فتطلق عبارة رضي ، على كل اب متسلط على ذويه بمعنى (الرجل وما دونه باطل) وفي الرواية نجد ان (كل شيء في هذا البيت يخضع خضوعا اعمى لارادة عليا وذات سيطرة لا صد لها ، حتى الحب نفسه – بين

جدرانه يسرق خطاه الى القلوب في حياء اذ لا استبداد هنا الا لتلك الارادة العليا) (١) ، شخوص الامرة كلها تعيش كتل من التناقضات تنقاد اليه انقياد اعمى حتى في عرس ابنته كانت زينب مستنكرة الجو الرزين الصامت يغشى البيت يوم الزفاف (ما رأينا بيت يحرم فيه الحلال كبيتكم هذا ... حكم) (٢) . وفي مقطع سروي اخر يصف حال ياسين عندما امره ابوه تطليق زوجته قال له في نفسه ((اعتني بالقصر ودعني وشأني))(٣).

وصورة اخرى تمثل الحالة النفسية لأمينة التي تجسد بالفعل المرأه القاصرة والطرف المقصود على السواء والتي لم تكن تعرف الطمأنينة الحقه حتى يعود الغائب ، اجل كان مجرد وجوده بالبيت صاحياً او نائماً كفيلا ببث السلام في نفسها وقد خطر لها مرة ان تعلن نوعاً من الاعتراض المؤدب على سهره المتواصل فما كان منه الا ان مسك بأذنيها وقال لها بصوته البهوري في لهجة حازمة أنا رجل الآمر الناهي لا اقبل على سلوكي اية ملاحظة وماعليك الأ الطاعة فحاذري ان تدفعيني الى تأديبك ، فتعلمت من هذا الدرس وغيره من الحق به انما تطبق كل شيء في معاشرة العفاريت الا ان يحمر لها عين الغضب فعليهما الطاعة بلا قيد او شرط (٤).

١- وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ – عثمان بدري – الجزائر – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، ٢٠٠ ، ص٢٩
٢- رواية بين القصرين – مصدر سابق – ج١ – ص١٢
٣- رواية بين القصرين – المصدر نفسه
٤- المصدر نفسه ص١٠

ازدواجية السيد وحصره لأهله فرض عليه ان يحصر ويقيد شخصية النديم المرح ويظهر شخصية العارم الوعر امامهم والأماكن الاجبارية والسجن قد لاتكون على شخصية واحد وانما قد تكون على شعب كاملة ودولة قد تجبر وتسجن وتقيد من قبل دولة اخرى ،ان شخصية السيد بعد ماكان حاكم متسلط على افراد اسرته فهو هنا يشارك عائلته والشعب المصري كله للحبس والتقييد للحرية من خلال سلطة خارجية ألا وهي سلطة الاحتلال الفرنسي واسرة السيد تخضع لحبس ثاني وان كان السيد يشار لهم في الخضوع لتلك السلطة الخارجية ، مكث السيد واسرته في البيت من خلال الحصار فكان السيد يشترك مع حريمه وابنائه في الرضوخ لتلك السلطة فـ((

لم يرفع مزلاج الباب في ذلك اليوم ولم تفتح نافذه من النوافذ المطلة على الطريق ولو لتغيير الهواء و((ادخال الشمس))(١). ومن خلال استقراء فضاء امكنة الأقامة الجبرية يتضح لنا ان المحجر معادل دلالي لفضاء ((السجن)) فكلاهما ((يمثل لقوى عدوانية تتحدى ارادة الأنسان))التي تحاول سلطة ((الأنا الأعلى)) طمس هويتها وانتمائهما تحت صرخات الغضب والتعذيب بأبشع الطرق ووفق معالم الفضاء المغلق ((الأجباري))

٧- الفضاء الروائي في الجاذيه والدراويش ، لعبد الحميد بن هدوقة ، دراسة في المبنى ، الطاهر روأينية ، مجلة اتحاد الكتاب الجزائريين ، العدد الأول ، ربيع ١٩٩١ ، ص٢٠

الفصل الثاني

علاقة الشخصية بالأماكن المفتوحة

توطـــــئه

المكان تلك الدلالة التي تنطوي على مدلولات متعددة فهي تحوي في طياتها المشاعر الإنسانية والاحاسيس فهي وان اختلفت مدلولات هذه المسميات والظروف التي يعيشها الانسان فالأديب حينما يستهل روايته الأدبية في مكان او ذكر أسماء متعددة من الأمكنة فهو يستعيد التاريخ ويضفي عليه الحياة من حس وحركة (فالمكان دون

سواه يثير إحساسا بالمواطنة واحساسا اخر بالزمن وبالمحلية حتى لا تحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه) (١) ، ونرى هذا جليا في الرواية اذ ان الأماكن المفتوحة التي سارت فيها احداث الرواية أصبحت من الاعمدة الرئيسية للرواية لدى الكاتب مستمدا ذلك من ان للمكان أهميته الخاصة (حيث يغدو المكان امتدادا حيوياً لذات المكان كالكائن لا يمكن استبداله) (٢) ، وما جاء للمكان في الرواية قد اخذ حيزا كبيرا في الاحداث وفي جزء من وصف المكان يقول (واضاء المصباح الحجرة جدت برقعتها المربعة الواسعة وجدرانها العالية وسقفها بعمده الافقية المتوازية) (٣) ، اذ نرى ان (بناء المكان على أساس من التخيل المحض لكنه لا يكتب ملاحمة واهميته وديمومته اذ لم يتماثل بدرجة او باخر مع العالم الحقيقي خارج الذهن) (٤) .

يتميز المكان المفتوح بأنه اما ان يكون خاليا من الناس او انه لا يخضع لسلطة احد وارتبطت دلالة المكان المفتوح بالحرية والأماكن المفتوحة على الخارج أماكن انتقال وحركة حيث يتجلى فيها الانتقال والحركة وهي على قسمين مفتوح خاص ومفتوح عام .

١- إشكالية المكان في النص الادبي ، دراسات نقدية ، ياسين النصر ، دار الشؤون الثقافية العامة .
٢- كتابة المكان بعيد عنه ، خليل النعيمي ، الأقلام-العدد٢ ، لسنة ١٩٨٨ ، م ج ص٤٠-٤١ .
٣- بين القصرين . مصدر سابق
٤- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله إبراهيم ، دراسة النظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد / ١٩٨٨ – ص١٢٧ .

تمثل أماكن الانتقال الموجودة في الرواية أماكن معادية لاماكن الإقامة والتي تشكل معها انقساما جدليا بين الداخل والخارج فتكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها تمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن اقامتها الثابتة مثل الشوارع والاحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي (١) ، ويعتبر هذا النوع من الاقضية امكنة عامة يمتلك كل واحد حق ارتيادها وتعد فسحة هامة تسمح للناس بالانتقال والتواصل كما تسمح بالحركة والتفاعل والتوحد داخل النص الروائي (٢) ، لهذا الفضاء من الأمكنة

أهمية بالغة باعتبار انه سيمدنا بمعلومات وفيرة وتطورات متعددة تكفل الإمساك بحقيقة الاقضية الموضوعة على الخارطة الروائية وقيمها ودلالاتها (٣) . تشكل أماكن الانتقال بوسائلها المختلفة الروح النابضة للحياة البشرية ففيها يلتقي الناس ويتفاعلون ويتحاورون ويقضون حوائجهم اليومية للعودة الى مواطن سكناهم الأولى المغلقة عادة (البيت).

١- بنية الشكل الروائي – مرجع سابق ص٤٠ .
٢- ينظر : فهد حسن ، المكان في الرواية البحرينية ، فراديس للنشر والتوزيع ط / ٢٠٠٣ – ص٨٠ .
٣- ينظر : بنية الشكل الروائي – مرجع سابق ص٧٩ .

المبحث الأول

أماكن الانتقال الخاصة

نعني بها كل الأماكن التي تتميز بنوع من الخصوصية وهناك فئات واصناف من الناس يترددون دون غيرهم وان كانت غير محضورة الا انها تتطلب الاذن في بعض الأحيان ورغم انفتاحها الا انها تتميز بنوع من الخصوصية ولا نعدها أماكن إقامة لعدم توفر شروط الإقامة. (وبصورة عامة فالمكان الروائي هو فضاء معاش من طرف الانسان (الكاتب) أولا و أخيرا ما من اتجاه او ميل لفك هذا الارتباط الحاصل بينهما(١). وللمكان علاقة وثيقة بالحالة النفسية لشخصية اذ ان الاتساع في المكان تأكيد على حرية الفرد او التأكيد على الخروج من

الذات الى الاخر(٢) ، وله علاقة بضبط حركة العناصر الفنية الأخرى من خلال تحديد جغرافية المكان بدقة ، وأماكن الانتقال الخاصة متعددة منها المقاهي ، المساجد ، الشوارع ، دور السينما والمسرح .... وتنقسم الى قسمين أماكن انتقال خاصة غير مقيدة وأماكن انتقال خاصة مقيدة واحد هذه الفضاءات التي تمثل الأماكن الخاصة الغير مقيدة هي :

المقاهي : يعد علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي وهذا ما أدى الى انتشاره بكثرة في العالم العربي مما لا شك فيه (ان وجود المقهى في الشارع العربي قد اعطى بعدا جماليا جديدا فقد أتاح المقهى للروائي والفنان ان يتأملا الشارع جيدا ما يدور فيه وبكل بساطة كان المقهى هو كرسي التأمل للشارع وكان المقهى هو كرسي الفرجة على الشارع ولعل هذا الارتباط العضوي بين الشارع والمقهى في الرواية العربية قد افاد كثير في ثراء جماليات الشارع وجماليات المقهى على حد سواء)(٣).

١- بنية الشكل الروائي مرجع سابق – ص٨٩

٢- جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور ، مدحت جبار ، مجلة الف ، مجلة البلاغة المقارنة – القاهرة مصر . العدد ٦ لسنة ١٩٨٦ – ص٣٢ .

٣- جماليات المكان في الرواية العربية – مرجع سابق ص٦٥-

(المقاهي عند كبار الادباء والمثقفين والسياسيين في مصر وبلاد الشام مكان لصناعة الأفكار وتوليدها)(٤) . تسمى المقهى والقهوة بالعامية المصرية نسبة للمشروب المعروف والذي اطلق عليه اسم المكان الذي يباع فيه وكان المقهى مكان التقاء الرجال دون النساء – ورغم مكانة المقهى في مصر وضروريتها الا انها ضلت ملازمة للأحياء الشعبية وما يقال على هذه الاحياء وبيوتها ينطبق على مقاهيها اذ لم تكن بالاماكن الراقية والتي يهتم أصحابها بجمالها ولا روادها بل قد تشكلت من ابسط الأشياء .

.
١- المرجع نفسه – ص١٩٦ .

اتى وصفها مقتضيا كما هو الحال بالنسبة لمقهى (سي علي) بالغورية اذ لم تكن سوى دكان متوسط الحجم لها منفذان على الخارج وهما بابها الذي يطل على الصناديقة وتكون ذات قضبان تطل على الغورية وتشترك مع نافذة السجن لوجود القضبان عليها الا ان وضيفتها هنا عكسية فهي لا تحتفظ بمن في الداخل بل تفتح من الخارج التسلل اليها اشقاء الرقة والنهي ، وموقع هذا المقهى في الحي الذي بيه بيت العالمة زبيدة وهو السبب الذي جعل ياسين يذهب اليها ليترصد ظهور زنوبة العوادة ربيبة زبيدة من نافذة البيت وسرعان ما هجر هذا المقهى الى

مقهى احمد عبدة بعد هجران زنوبة الحي واذا رجعنا لوصف مقهى احمد عبدة فهو احسن حال من المقهى السابق سنتعرف اليه من خلال المقطع السردي الذي وصف بانها :-

((تقع تحت سطح الأرض كانها كهف منحوت في جوف جبل مسقوفة بربوع الحي العتيق منعزلة عن العالم بحجراتها الضيقة المتقابلة وباحتها التي تتوسطها نافورة صامتة ، مصابيحها التي تقاد ليل نهار وجوها الهادئ الحاكم الرطيب)) (١) . مع كونها تسمى القهوة او مقهى الا ان اكثر ما يحتسى فيها هو الشاي (٢).

وقد سمحت لنا المقاهي بتقديم صور مختلفة لاحتساء الشاي بصور غاية من الدقة والبراعة وهنا يبرز الصور الوصفية السردية التي لا تتجاوز اقداح الشاي الساخنة والصينية التي عادة تكون صفراء كما وصف ياسين وقد (حسا الشاي دون ان ينتبه الى سخونته الا وهو يزدرد وراح ينفخ متألما ثم أعاد القدح الى الصينية الصفراء مسترقا النظر الى السماء الذين ازعجتهم أصواتهم المرتفعة بانها هي المسؤولة لسعته)(٣).

١- بين القصرين ، مصدر سابق
٢- مصر المكان ، دراسة في القصة والرواية – مرجع سابق ص٥٥.
٣- بين القصرين ، مصدر سابق.

وهذه صورة أخرى لكمال وصديقه فؤاد الحمزاوي وهما يحتسيان الشاي (جاء النادل بالدومينو وقدحين من الشاي على صينية فاقعة الاصفرار فتركها جميعا على المائدة ذهب يتناول كمال قدحه من فوره وراح يحتسيه من قبل ان تخف حرارته ينفخ السائل ثم يتمززه وينفخ مرة أخرى ويمصمص شفتيه كلما لسعته الحرارة ولكن ذلك لا يردعه فيعاود المحاولة في عناد وجزع كأنه محكوم عليه بالفراغ منه في دقيقة او دقيقتين على حين جعل

فؤاد يراقبه صامتا ولم يمد يده على قدحه حتى كان كمال قد فرغ من مغالبة قدحه وعند ذاك اقبل يحتس الشاي في تأن مستطعما مذاقه مستلذا نكهته وهو يغمغم بعد كل حسوة " الله ما اطيبه " والأخر يحثه على الفراغ منه كي يلعب)(١) . المقاهي كمكان في هذه الرواية والروايات العربية الأخرى ذات دلالات ، للمقهى جانب دلالي يذهب الى ابعد من جدرانها واثاثها فحين نستخرج صورة النادل والصينية الصفراء واحيانا الدومينو والنارجيلة واقداح الشاي الساخن الموجهة لسمار المقهى يمكن ان تتولد دلالة جديدة في كل مرة لا تتأتي هذه الدلالات الا بالتسليم انه :

(هناك سببا ظاهرا او خفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما ...) (٢). ، بمعرفة السبب يتضح دور المقهى فكانت المقهى عند ياسين تمثل وكرا ذكيا يختبئ فيه لتفحص النساء ، وان المقهى كمكان كان رمزا للحرية الفكرية والاجتماعية حيث تستطيع ان تقول فيه ما تشاء دون حسيب او رقيب ومن هنا قال صرار ليمير في كتابه "مقاهي الشرق" الذي قد قدمه جمال الغيطاني ((ان مقاهي الشرق مراكز حرية التعبير فيها هي القاعدة))(٣)

١- بين القصرين ، ، مصدر سابق
٢- بنية الشكل الروائي / مرجع سابق / ص٩١
٣- جماليات المكان في الرواية العربية / مرجع سابق / ص١٩٦-١٩٧

اما بالنسبة للحانة وما يعرف بالخمارة تعد من تابعات المقاهي اذ ضهور المقهى سابق لضهور الحانة لذلك لم تكن الحانات تختلف عن المقاهي من حيث الشكل والحجم والمكونات ، فهي تحمل كل معاني الضيق والبساطة والمحدودية وهي نفس الصفات والمميزات التي نجدها في المقاهي وان اول حانة ذهب اليها ياسين هي حانة الكستاكي بالغورية ثم انتقل الى حانة النجمة ، ان المدلولات التي بداخل الحانات وما تحمله من وضائف تستخدم

في المقهى واذا امعنا النظر في روادها وجدناهم نفر من اهل البلد والعمال والافندية وهم مختلفون عن رواد المقاهي ويعود السبب الى ظهور الحانات أولا في الاحياء الخاصة بالاجانب ثم انتقلت الى الاحياء التي لا يختلط فيها الأجانب بالمصريين ، وإذ لم تكن المقهى مسموحة للنساء والصغار بل مقتصرة على الرجال (اذ كان خاص بين الرجال والنساء لقاء النساء في البيوت والرجال في المقاهي) (١). ، الا انها كانت تتميز بنوع من الخصوصية تتطلب ممن يدخلها نوعا من الجرأة فكيف اذا تعلق الامر بدخول الحانة ؟ ورغم ان السيد عبد الجواد هو اول من عرف الخمر في عائلته الا انه لم يذهب الى الحانات بل كان يشربها مع أصدقائه في بيوت الراقصات، لم تأخذ الحانة نصيبها من الرواية اذ اكتفى نجيب محفوظ بالإشارة الى محتوياتها (وكانت الحانة اشبه بالحجرة تدلى من سقفها فانوس كبير وضعت بجنباتها موائد خشبية وكراسي خيزران جلس اليها نفر من اهل البلد والعمال والافندية وتوسط المكان تحت الفانوس مجموعة من احصة القرنفل)(٢).، ان اغلب المقاطع المردية لوصف الحانة كانت من خلال تتبع خطوات ياسين باعتباره الشخصية التي فتحت لنا أبواب الحانات في الرواية لذلك كان وصف نجيب محفوظ دائما وراء خطوات ياسين باعتباره اكثر الشخصيات اقترانا بالخمر ، ان رواد الحانات كثر الا ان ياسين اصغرهم سنا اما اكبرهم اعزب متقاعد يليه باشكاتب بالاوقـــاف ورئيـــــس

١- جماليات المكان في الرواية العربية / مرجع سابق م / ص٢٠
٢-رواية بين العصرين ، مصدر سابق

المستخدمين بإدارة الجامعة ويعد ارقاهم مركزا لكنه كان كثير العيـــال ثم محامي من ذي الأملاك غير مشتغل وكان اكثرهم ادمانا ' تحمل الحانة ومن فيها دلالات كثيرة اذ تشكل الحانة بحضور ياسين وأصدقائه فضاء للشبة والعطالة والضياع من خلال تغييب الوعي الفكري الذي تعوضه العربدة ، الحـــانة مكان يسمح للخمران تدهور حالة صاحبها عقليا وصحيا وماديا ، كثرة الضجيج وانتشار جو العربـــدة يســـاعد على الثرثرة والـــخوض في الاحاديث المسموحة وغير المسموحة الحانة مكان للحداع وترييف الوقائـــع فحينما تلعب الخمر بالعقول تجـــعل

الالسنة تهذي فتخلط بين الحقيقة والخيال وتلـــبس الحقيقة ثوبا خياليا بحسب ما يصادف اهواءهم ، للســـينما والمسرح دور بارز في الرواية المعاصرة ، تعد السينما والمسرح من تابعات المقاهي والحانات وان لم يكن لها مشروب يعرض او يقترن باسمها ولكن باعتبارها امكنة الترويح وتقضية الوقت وكانت تقتصر غالبا على الطبقة فوق المتوسطة (١) ، ورغم انها لم تحظى بالوصف المطلق في الرواية كلـــها الا اننا لا يمكن ان نغفل عنها لعالها من الدلالة ، ان دخول السينما والمسرح لا يتطلب الجرأة التي تتطلبها المقاهي او الحانات ، تبقى السينما والمسرح المكان الذي حرمه احمد عبد الجواد على نفسه ، ان احمد عبد الجواد ورفقائه لم يترددو يوما على دار السينما (سيتي) او مسارح روض الفرج رغم انهم كانوا مولعين بالطرب واللهو والغناء لاحساسهم بأن ذلك انتقاص من هيبتهم (٢) ، بيد ان زينب التي حظيت من زوجها ياسين كل التودد والاعزاز . الذي بلغ به يوما ان ذهب بها الى مسرح كشلش بك مستهينا بالسياج المسلح من التقاليد العارمة الذي يضرب به ابوه حول الامرة وقد ضبطها احمد عبد الجواد دليلتهما وكاد يطرد ياسين من البيت بسبب فعلته وقد نهده بأن لا يفسد النساء الا الرجال وليس لكل الرجال جديده بالقيام على النساء (٣) ، واعتبر فعلته بلغت حدا من الخروج على التقاليد التي تعد الدنيا للرجال والبيوت للنساء .

١- جماليات المكان في الرواية العربية / مرجع سابق / ص٢٣١
٢- المرجع نفسه ، ص١١٨
٣- بين القصرين ، مصدر سابق

المبحث الثاني

أماكن الانتقال العامة

علاقة الانسان بالمكان علاقة جدلية مصيرية فلا يمكن ان يتصور الذهن لحظة من لحظات الوجود الإنساني خارج سياق المكان (١) ، فالمكان هو حاضن الوجود الإنساني وشرطه الرئيسي (٢) ، تعد الشوارع والاحياء أماكن انتقال ومرور نموذجية فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر أماكن اقامتها او عملها (٣) ، ان الرواية تقوم احداثها على الانتقالات المكانية بشكل كبير ومن خلال هذا نفهم ان

الأماكن المفتوحة بوسائل تنقلاته المختلفة لها دور عظيم ولعل الحي من اكثر أسماء الأمكنة العربية تثير الى معنى الحياة وحركتها الدائبة (٤) ، ولفضة الحي في اللغة مأخوذة من الحياة (٥) ، وامر طبيعي ان تحمل هذه الكلمة دلالة الحركة والنشاط الدؤوب وخصوصا انها امكنة اهله بالسكان تشهد حركة الكبار وضجيج الصغار . الاحياء هي الأماكن المفتوحة على الخارج وهي تشكل بالفعل مسرحا شاهدا على تحركات الداخليين وعتبة لتنقلاتهم وذهابهم وايابهم حين يتخذون الشوارع والطرقات قناطر يعبرونها وعتبات يتخطونها للوصول الى أماكن أعمالهم والأماكن التي يغصون فيها أوقات فراغهم او لهوهم ومما لا شك فيه انها تشكل نقاط عبور هامة في التقاء الشخصيات وتطور الاحداث في البناء الروائي ، ولقد عبر الروائيون العرب عن هذا النوع من الأمكنة وجمالياتها خلال حديثهم عن المدن العربية بوصفه (مسارا وشريانا للمدينة وفي الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل والنهار واشغالها وتجلياتها فهو المسار والمصب في آن واحد) (٦)

١-انظر – فن القصص – نبيلة إبراهيم – مكتبة الغريب – القاهرة – ص١٣٩
٢- جدلية الزمان والمكان والانسان في الرواية الخليجية – د. عبد الحميد المحادين – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط١- ٢٠٠١ – ص٢٠
٣- بنية الشكل الروائي – مرجع سابق ، ص٧٩
٤- جماليات المكان في الرواية العربية / مرجع سابق – ص٥١
٥- لسان العرب – مصدر سابق ص٢٠٣
٦- جماليات المكان في الرواية العربية – مرجع سابق – ص٦٥

وقد تكون اول خصوصية تتبادر الى الذهن مظهر الشارع العادي المتصل بمعاني الاكتظاظ البشري ، وقد وصف نيبور احياء القاهرة بأنها تتكون من عدد كبير من الشوارع الصغيرة الرئيسية)(٧). ان مضادات الاحياء التي تعيشها الشخصيات ويترددون عليها يوميا كبيرة وتنطوي تحت هذا الاسم الحواري والدروب والمنعطفات والازقة التي تمثل الاحياء الشعبية ، يطلق على الاحياء والشوارع أماكن عمومية لانها لا تنضوي تحت ملكية فردية ، يمثل الشارع مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والشارع هو ذلك المكان المزدحم الصاخب المليء

بالغموض والاصوات العالية (٨). والشارع مسلك لمرور عموم الناس ، ولكن هناك امور تحكم الشارع فالانسان من خلال حركته في المكان (الشارع) يقوم بعكس تلك الفوضى التي تحكم الغابة والفوضى التي نفيها طالبت فوضى المرور بقدر ما هي فوضى بمعناها العام المتأتية من فساد الحياة السياسية والاجتماعية(٩).

* ليس لها جميعاً الى منفذ واحد تتصل عن طريقه بأحد ، تتصل عن طريقه بأحد الشوارع الرئيسية .

ورغم تعدد اسماء الشوارع والاحياءفأن دلالاتها لا تختلف وتبقى ذات دلالة تشير ونظرا لاهمية الاحياء في الرواية باعتبارها مجالا حيا وفضاء معيشي لا يمكن اغفاله فقد حضي حي (بين القصرين) بالصدارة عندما ذكر في افتتاحية الرواية وللاحياء الشعبية تقسيمات وقف عندها الروائين وتنقسم حسب وضيفتها الى ثلاثة اقسام : الاحياء السكنية ـــالتجارية ـــوالاحياء المشبوهة و وللاحياء السكنية حضور مميز في الرواية وليس الاحياء السكنية مخصصة للسكن فقط وانما الاحياء التي تغلب عليها البيوت والمساجد مع امكان وجود المقاهي والدكاكين والمحلات وقد كان حي (بين القصرين) صورة موضحة وقد كان الراوي كلما وصفه من خلال

١- مصر المكان – دراسة في القصة والرواية – مرجع سابق – ص٥٥
٢- جماليات المكان في الرواية العربية – مرجع سابق – ص٦٠
٣- المرجع نفسه – ص٨٠

مشربية بيت ال جواد المطلة عليه ، فكانت المشربية تقع امام سبيل بين القصرين ويلتقي تحتها شارع النحاسين الذي ينحدر الى الجنوب وبين القصرين الذي يصعد الى الشمال هذا الطريق الى يسارها ضيقا ملتويا متلفعاً بظلمه تكشف في اعاليه حيث تطل نوافذ البيوت النائمة في اسافله مما يلقي اليه من أضواء مصابيح عربات اليد وكلوبات المقاهي وبعض الحوانيت التي تواصل السهر حتى مطلع الفجر والى يمينها التف الطريق بالظلام حيث

يخلو من المقاهي وحيث توجد المتاجر الكبيرة التي تغلق أبوابها مبكرا فلا يلفت النظر به الا ما اذن قلاوون وبرقوق لاح كأطياف من المرده ساهرة تحت ضوء النجوم الزاهرة (١)

يمثل الحي الشعبي مكان لاهم احداث الرواية فهو المكان الذي يقوم بتقديم الأماكن التي تليها مباشرة (٢). ، وينفرد هذا الطريق الذي يطل على بين القصرين والنحاسين بدلالته الخاصة والتي ترتبط بشخصية امينة التي تعده انيسا لوحدتها فالطريق صديق أمينه الفاضل القريب الى قلبها (٣). رغم ان علاقتها به لا تتجاوز حدود المشربية والتي تطل منها عليه . ان الاحياء الشعبية غالبا ما تمتاز بالمحدودية الشديدة والاكتظاظ التي تعبر عنه زحمة الدكاكين التي تقرع الاذان من خلال الطنين الصادر عنها كخلايا النحل التي لا تهدأ ، ان الحي الشعبي بعيد عن النظام بمفهومه الهندسي القياسي فالاحياء متماثلة الى حد بعيد وهذا يعني ان توزع البيوت متشابها وهي جميعها تدور حول الصور البسيطة والبليغة في ان واحد حينما تنقل (امينة) بصرها الى الطريق والاحياء المجاورة وتحديد حينما تسرحه (بين البيوت المتكاكشه على جانبي الطريق في غير تناسق كأنها طابو من الجند في وقفة راحة تنخفض فيها قسوة النظام (٤).

١- بين القصرين – ، مصدر سابق
٢- جماليات المكان في الرواية العربية – مرجع سابق – ص١٥
٣- رواية بين القصرين – ، مصدر سابق
٤- رواية بين القصرين – ، مصدر سابق

فهذا التشبيه التمثيلي يشخص صورة البيوت الغير متناسقة في بنيانها ورغم ابتعادها عن النظام الا انها قد تكتسب كل بيت شكلا وحجما يسهل تمييزه ، الاحياء الشعبية ذات طابع تجاري اذ كان وجود دكان او محل واحد في حارة او حي يهبها قيمة تميز ها عن الأخرى فكيف اذا كانت تضم عددا كبيرا من الدكاكين والمحلات كحي

النحاسين او حارة مخصصة لدكاكين ومحلات كعطفة التربيعة ، مما لا شك فيه ان الحركة الدائمة في هذه الاحياء تكون السمة الغالبة عليها كما هو في النحاسين حيث لا ينقطع تيار الماره وعربات اليد الكارو وسوارس التي تكاد تترنح من كبرها وثقلها والباعة المغنون وهم يترنمون بطقاطيق الطماطم والملوخية والبامية كل على مذهبه (١). تملا الطريق ضوضاء عارمة ذات خصوصية ومن المستحيل ان يهدء مكان كما وصفه نجيب محفوظ وكما اعتاد عليه احمد عبد الجواد بأنه (لم يكن طريقا هادئا وكان ابعد ما يكون عن الهدوء وكان صوت الجهير لا يخفت من الفجر الى ما قبل الفجر هنا مر عاليه هتافه بنداءات الباعة ومئات الشارين ودعوات المجذوبين ودعابات السابله يتحادثون وكأنهم يخطبون حتى اخص الشؤون تترامى الى جوانبه وتطير حتى ماذنه الى ضوضاء شاملة تصدر عن صليل سوارس حيناً وطقطقة الكارو حيناً اخر لم يكن طريقا هادئا بحال (٢) .

ولفضاء الساحات والميادين والحدائق العامة فهي تمتاز بالانفتاح المطلق على الخارج ومن اهم خصوصياته انه فضاء مشترك بين الناس مع اختلاف مستوياتهم واعمارهم واخلاقهم وهو المسرح الحقيقي الذي يتحركون فيه بحرية اكبر دون قيود يشترك هذا الفضاء مع فضاء الاحياء الراقية من الناحية الهندسية في امرين الأول في ندرته من الناحية الوصفية رغم انه شهد احداث رئيسية في الرواية اما الثاني فيتمثل في صفة الاتساع والفساحة ويرتبط المكان ارتباطا لصيقا بمفهوم الحرية وهي (حرية الحركة) (٣)

١- رواية بين القصرين – ، مصدر سابق
٢- رواية بين القصرين – ، مصدر سابق
٣-مشكلة المكان الفني (جماليات المكان) – مرجع سابق – ص٦٢

لفضاء الساحات والميادين كميدان الاوبرا والازبكية وميدان الحسين احداث حملة دلالات فقد رنت شاعتها يوم المظاهرات التي حدثت في عام ١٩١٩ م ، وعقب الافراج عن سعد زغلول فقد كان فهمي المشرف على

التجمعات الطلابية وكان طلبة الحقوق اول المضربين عن الدوام فقد امتنعوا عن تلقي الدروس منذ صبيحة ذلك

اليوم واجتمعو في قاعة المدرسة (١) ، كان مسرح البطولة ميدان الاوبرا ثم حديقة الازبكيه وكان مكتظا بالمتظاهرين ، امتلا الميدان وامتلأت الشوارع المفضية اليه عباس نوبار الفجالة ، لم تسبق كهذه مظاهرة مائة الف طربيش عمائم طلبة عمال ، موظفون الشيوخ والقساوسة القفاه من كان ينعوا على هذا لا يبالون هذه مصر (٢) ، انتهت رواية بين القصرين بموت فهمي حينما نعياه الشابان الذان جاء السيد احمد عبد الجواد وقال الشاب (يؤسفنا ان ننعا اليك اخانا المجاهد فهمي احمد ، صاح بلهجة فكرة وان لاحت في عينيه نظرة قاطعة بالتصديق واليأس ، فهمي استشهد في مظاهرة اليوم ...(٣) ، يبدء عهد جديد في حياة اسرة احمد عبد الجواد وتنتهي الرواية .

١- ثورة ١٩١٩ – تاريخ مصر القومي منذ ١٩١٤ – ١٩٢١ – عبد الرحمان الرافعي ط٤ – مصر ، دار المعارف ، ١٩٨٧ – ص١٩٥

٢- رواية بين القصرين ، مصدر سابق

٣- رواية بين القصرين ، مصدر سابق

الخلاصة

هناك تناقض في تصرفات الشخصيه الرئيسيه في الروايه فهو يتـــــظاهر في شـكل ويتصرف في شـــكل اخر . عكست هذه الرواية الوضع السياسي لحقبة زمنية معينة مثلت استبداد فردي لرب الأسرة وقمع أسري بينما هو يسهر مع عاهرات يمارس اللهو والرقص مع مومس الليل ويتظاهر بالاخلاق العاليه والتدين في داخل منزله . لذلك نجد

طبيعة الشخصية تختلف باختلاف المكان ، ان ازدواجية هذه الشخصيه و حصره لأهله فرض عليه ان يحصر ويقيد شخصية النديم المرح ويظهر شخصية الصارم الوعـــر أمامهم . مثلت الاماكن المفتوحة الحرية المطلقه لهذه الشخصيه حيث تسهل الانتقال من خلالها بالانفتاح على العالم الخارجي، فهي تكشف عن الجانب المـــكمل للشـــخصية الروائية والذي عادة ما يكون نقيضا لطبيعتها البادية في الأمـــاكن المغلقة .لذلك فقد تلاعب الكاتب بحركة هذه الشخصية وابرز الأماكن التي يتردد عليها فهو في الليل في سهراته وفي النهار مابين العمل والبيت ولهذا تتجلى اهمية المكان في الاثر الكبير الذي يتركه في العمل الروائي ومن خلال حركة الشخصية في الأمكنة والتي تكشف نوازع الشخصيات واهواءها

الخـــاتـــمة

إن خاتمة هذا البحث هي آخر محطة نقف عندها، حاملة معها الأسطرالأخيرة التي أردتها أن تكون مختصرة لأهم النقاط التي توصلت إليها :-

- تعددت دلالة الامكنة في رواية بين القصرين لنجيب محفوظ لقد تعددت الامكنة كشارع بين القصرين والبيوت والمقاهي وقد تناولهانجيب محفوظ وجعل تلك الامكنة حيه متحركة نابضة بالحياة بشخصياتها ذات الابعاد الاجتماعية والنفسية والشكلية.

- يتجاوز المكان عند نجيب محفوظ حدوده اللغوية والورقية إلى تجسيد عالم بأكمله ورؤى متشعبة قد تلتقي وقد تختلف في كثير من الاحيان. ومع ذلك لكل جزئية من الأمكنة دلالتها الخاصة، ورمزها الخاص الذي يعكس من خلاله رؤية نجيب محفوظ للعالم

- تتخذ الأمكنة عند نجيب محفوظ شكلا واقعيا فهي شديدة الارتباط فيما بينها

- يشكل المكان عند نجيب محفوظ ثنائية رئيسة وهي ثنائية المغلق-المفتوح، وتندرج ضمنها أمكنة مغلقة وأخرى مفتوحة تفصل بينها حدود تتفاوت درجة حدتها فمنها ماهو قابل للاختراق ومنها ما لا يخترق.

- فبالنسبة للأماكن المغلقة نجدها:

تمثل عالما خاصا حميميا يكشف عن طبيعة كل شخصية وأغوارها ودرجة تعاملها مع العالم الداخلي وعلاقتها بالعالم الخارجي، تتفرع هذه الأمكنة إلى أماكن جزئية يتحكم فيها عنصرا التماثل والتناقض،أعطى نجيب محفوظ أهمية بالغة للبيوت باعتبارها العصب الرئيسي الذي ينتقل منه البشر إلى العالم المفتوح،

- أما السجن فيشكل المكان المعادي للبيوت، ويصور صرامة الحد ،ومعاني التضييق والانغلاق، التي تجعل من بداخله منعزل عن الفضاء الخارجي.

- أما بالنسبة للأماكن المفتوحة فهي:

تمثل جانبا من الحرية حيث يسهل الانتقال خلالها بالانفتاح على العالم الخارجي، والذي يكاد يقتصر على الجنس الذكوري.

- تكشف عن الجانب المكمل للشخصية الروائية والذي عادة ما يكون نقيضا لطبيعتها البادية في الأماكن المغلقة.

تمتاز بخصائص مغايرة للأماكن المغلقة مما يجعلها فضاءات مختلفة.

- أبرز نجيب محفوظ دّقة ملاحظته، واهتمامه الواضح بالمقهى، فهي منفذ هام مفتوح على العالم يجتمع فيها القاصي والداني، وهي رمز للحرية الفكرية والاجتماعية مع كل ما تحمله من وظائف سلبية وإيجابية، وهي عادة ما تكون خطوة أولى، وعتبة ضرورية للانتقال منها إلى الحانة التي تعد حيزا سلبيا، وبؤرة هدامة في المجتمع، في حين كانت أماكن العمل تكشّف عن طباع الشخصيات وميولاتها الفكرية المختلفة.

- وجعل نجيب محفوظ الأحياء تعبيرا حي عن الفضاء اليومي، حين نقلها لنا بكل تحركاتها المخاطبة للحواس ، وأحداثها التي تنبض بالحياة،

- فمن علاقة الشخصية بالمكان

نستنتج أن:

- الشخصية عند نجيب محفوظ تتحول من كائن ورقي إلى مدرك زماني ومكاني وكيان يحمل رمزا ورؤية خاصة للعالم.

الشخصية عبارة عن مجموعة من المتناقضات ،حيث يبرز التماثل والتناقض بشدة على مستواها الداخلي، وعلى مستواها الخارجي الذي يضعها في التقابل حينا والتماثل حينا آخر مع مجموعة من الشخصيات.

-للشخصية مع المكان علاقة تأثير وتأثر، فالشخصية فاعلة في المكان.كما أن المكان فاعل فيها ، فكلاهما يلعب دور الفاعل والمفعول .ويتم من خلال تبادل هذه الأدوار تحقيق فضاء حي يعكس رؤية فنية خاصة من خلال تبادل هذه الأدوار تحقيق فضاء حي يعكس رؤية فنية خاصة

المصادر

١- بين القصرين، نجيب محفوظ،الجزء الأول، الجزائر :موفم للنشر،١٩٨٩
٢- بين القصرين، نجيب محفوظ،الجزء الثاني، الجزائر :موفم للنشر،١٩٨٩
٣- ، تاج العروس، للزبيدي، تحقيق محمود محمد الطناجي، ج ١٦الكويت، **١٩٧٦**

٤- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق، عامر احمد حيدر،ج، ١٥ ، دار، الكتب العلمية– بيروت - لبنان، ط، ٢ ،٢٠٠٩

المراجع

١- الادب ومذاهبه، محمد منذور، مصر للطباعة والنشر،الفجالة القاهرة
٢- إشكالية المكان في النص الادبي، ياسين النصير، ط ١ ،بغداد،١٩٨٦
٣- الروايه العربيه ، بيلوجرافيه ومدخل نقدي بقلم حموي السكوت ،المجلد الاول
٤- الاعمال الكاملة في الرواية العربية ، فاطمة موسى الهيئة المصرية العامة للكتاب ج٢ ، ط٣ ، ١٩٩٧م

٥- بناء الرواية العربية السورية،سمير روحي الفيصل ،اتحاد الكتاب العربي،دمشق ، ١٩٩٥
٦- بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،سيزا قاسم،القاهرة،الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤
٧- بناء الشخصية الئيسية في رواية نجيب محفوظ،بدري عثمان ،ط ١،بيروت دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع١٩٨٦
٨- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبدالله ابراهيم ، دراسة النظم والسرد والبناء في الروايه
٩- بنية الشكل الروائي ، (الفضاء،الزمن،الشخصية) ،حسن بحراوي،بيروت،الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٠
١٠- بنية النص السردي من منظورالنقد الأدبي،حميد الحمداني،بيروت،الدار البيضاء ، المركز الثقاف ي العربي،ط ٣ ، ٢٠٠٠

١١- تاريخ الادب العربي ،احمد حسن الزيات ،دارنهضة مصرللطباعة والنشر،الفجالة،القاهرة
١٢- تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق،عبد الملك مرتاض،الجزائر. م.د :ج، ١٩٩٥

١٣- تجربة السجن في الشعر الاندلسي ،رشا عبدا الخطيب،المجمع الثقافي الاماراتي،ابوظبي ، ١٩٩٩
١٤- ثورة ١٩١٩ ،تاريخ مصر القومي من ١٩١٤ إلى ١٩٢١ ،عبدالرحمن الرافعي،ط ٤ ،مصر :دار المعارف،١٩٩٧
١٥- بنية الزمان والمكان والانسان في الروايه الخليجيه [illegible] العربيه للدراسات والنشر ،٢٠٠١ م ، بيروت ،ط ١

١٦- جماليات المكان في الرواية العربية ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الفارس، ط ١ ، الأردن ، ١٩٩٤ م
١٧- جماليات المكان،جاستون باشلار،ترجمة: غالب هلسا،دارالجاحظ،دارالحرية،بغداد، ١٩٨٠ م
١٨- رسالة الحدود ، ٩٤ ، نقلا عن :المعجم الفلسفي -بالالفاظ العربيه والفرنسيه والانكليزيه واللاتينيه ، د.جميل صليبيا ، ج ٢/٤١٢. وينظر: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا
١٩- شعرية الفضاء، المتخيل والهوية في الرواية العربية، حسن نجمي ، بيروت، الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي، **٢٠٠٠** م

٢٠- فن القصص ، نبيلة ابراهيم ، مكتبة الغريب ، القاهره
٢١- قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ، نبيل راغب، الهيئة المصرية العامه للكتاب، ط١ ،١٩٨٨ م
٢٢- كتاب التعريفات وبيان رسالة اصطلاحات رئيس الصوفيه الوارد في الفتوحات الملكيه ، ١٨٤

٢٣- كتاب (نادر) من ٥٠ عاما لنجيب محفوظ عن ثلاثية نجيب محفوظ
٢٤- مشكلة المكان الفني (جماليات المكان)،يوري لوتمان، ترجمة وتقديم :سيزا قاسم، عيون المقالات،الدار البيضاء، المغرب، **١٩٨٨** م ، ط ١

٢٥- مذاهب الادب الغربي ومظاهرها في الادب العربي ، سالم احمد الحمداني ، جامعة الموصل ١٩٨٥م

٢٦- مصر المكان – دراسة في القصة والرواية-محمد جبريل، المجلس الأعلى للثقافة، جمهورية مصر العربية، **٢٠٠٠** م

٢٧- المكان في الروايه البحرينيه ، فهد حسن ، فراديس لللنشروالتوزيع ، ٢٠٠٣ م
٢٨- المنتمى : دراسة في أدب نجيب محفوظ / غالي شكري القاهرة: دار المعارف ,**١٩٦٩** م
٢٩- نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد),عبد الملك مرتاض،الكويت ,المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ,ديسمبر١٩٩٨م
٣٠- وظيفة الفضاء في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ ،شلون بوزي الجزائر:المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، **٢٠٠٠م**

الدوريات
الفضاء الروائي في الجاذية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة،دراسة في المبنى والمعنى،طاهر روأينية ، مجلة المساءلة،اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد الاول ربيع ١٩٩١
١- أليات النص الروائي نحو تصور سيميائي عن اللطيف محفوظ ، منشورات دار الاختلاف ، ط ١٢٠١٢ ،
٢- جريدة أخبار الأدب،محمد شعير **(**حوار مع نجيب محفوظ**)**، مصر،العدد **٣٨٦/** الأحد ٧رمضان **١٤٢١** هـ، الموافق ل **٣** ديسمبر **٢٠٠٠**
٣- العدد **٣٨٦/** الأحد ٧رمضان **١٤٢١** هـ، الموافق ل **٣** ديسمبر **٢٠٠٠**
٤- جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور ، مدحت جبار ،مجلة ألف **:** مجلة البلاغة المقارنة ، القاهرة **–** مصر العدد ٦ لسنة ١٩٨٦ م
٥- مجلة البيانات ، اعتدال عثمان ، الكويت ، ع ٢٨٣ ، كانون الثاني،١٩٨٦
٦- مصر والولادة الثانية الرحلة في كتابات ميشال بوتور، مصباح احمد عبد الصمد ،مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد **١٧** ،العدد٢ ،يونيو أغسطس، **١٩٨٦**
٧- موسوعة اللند الفلسفيه ، تعريب خليل احمد ، منشورات عويدات ،بيروت ، لبنان**/** م **/**، ١٩٩٦
٨- كتابة المكان بعيدا عنه ، خليل النعيمي ،مجلة الاقلام ، العدد٢ ،لسنة ١٩٨٨

الرسائل والاطروحات
١- الروايه النقديه وتطورها عند واسيني الاعرج **-** رسالة ماجستير**-** الطالب دربالي وهيبة ، الجزائر ، جامعة المسيله ، ٢٠١٠
٢- دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ **(**دراسه تطبيقيه**)** ، رسالة ماجستير ، سعاد دحماني ، الجزائر ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨